

وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾

﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ مجرور عطف على الأميمين يعني: أنه بعث في الأميمين الذين على عهده وفي آخرين من الأميمين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم، وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم. وقيل: لما نزلت قيل: من هم يا رسول الله؟ فوضع يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء». وقيل: هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيامة. ويجوز أن ينتصب عطفًا على المنصوب في ويعلمهم أي: يعلمهم ويعلم آخرين، لأنَّ التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندًا إلى أوله، فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه. ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ في تمكينه رجالًا أميًا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر.

ذَلِكَ فَضَلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٨﴾

﴿ذلك﴾ الفضل الذي أعطاه محمدًا وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغايبين هو ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ إعطاه وتقتضيه حكمته.

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْمَارًا بَشَرًا يَتْسَى مَثَلُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿٦٩﴾

شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقرأوها وحفاظ ما فيها ثم أنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك أن فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به، ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارًا أي: كتبًا كبارًا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبه ويظهره من الكد والتعب، وكل من علم ولم يعمل بعلومه فهذا مثله وبشس المثل. ﴿بشس﴾ مثلاً.

﴿مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ. ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها. ثم لم يحملوها، ثم لم يعملوا بها فكانتهم لم يحملوها. وقرئ: حملوا التوراة أي: حملوها، ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل. وقرئ: يحمل الأسفار.

فَإِنْ قُلْتُمْ: يَحْمِلُ مَا مَحَلُّهُ؟ قُلْتُمْ: النَّصَبُ عَلَى الْحَالِ أَوْ الْجَرُّ عَلَى الْوَصْفِ، لِأَنَّ الْحِمَارَ كَاللَّيْثِ فِي قَوْلِهِ: وَلَقَدْ أَمَرَ عَلَى اللَّيْثِ بِسَبْنِي. هَادٍ يَهُودٍ إِذَا تَهَوَّدَ.

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ

يكون معناه من ينصرتني مع الله لأنه لا يطابق الجواب. والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً. وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص، والحواري الدمك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي (1) وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب ببيضونها. ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل. ﴿فأمنت طائفة﴾ منهم يعيسى ﴿وكفرت﴾ به ﴿طائفة فآيينا﴾ مؤمنهم على كفارهم فظهروا عليهم، وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحنة. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الصف (2) كان عيسى مصليًا عليه مستغفرًا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيق».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجمعة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

قرئت صفات الله عزَّ وعلًا بالرفع على المدح. كانه قيل: هو الملك القدوس، ولو قرئت منصوبة لكان وجهًا كقول العرب: الحمد لله أهل الحمد. الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم، وقيل: بدأت الكتابة بالطائف أئخوها من أهل الحيرة، وأهل الحيرة من أهل الأنبار.

هُوَ أَرَى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمْ يَكُونُوا شَائِرِينَ ﴿٢﴾

ومعنى: ﴿بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ بعث رجلاً أميًا في قوم أميين كما جاء في حديث شعيب: «إني أبعث أعمى في عميان وأميًا في أميين» (3). وقيل: منهم كقوله تعالى: من أنفسمك يعلمون نسبه وأحواله، وقرئ: في الأميين بحذف ياء النسب ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ يقرؤها عليهم مع كونه أميًا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ﴿ويزكئهم﴾ ويظهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ القرآن والسنة. وإن في ﴿وإن كانوا﴾ هي المخففة من الثقيلة واللام ليل عليها أي: كانوا في ضلال لا ترى ضلالاً أعظم منه.

(3) قال الزيلعي لم أجده إلا من قول وهب بن منبه رواه الحافظ أبو

نعيم في دلائل النبوة 11/4.

(1) السبائي في سننه الكبرى كتاب المناققين زيلعي 7/4.

(2) الشعبي والواحدي وابن مردويه زيلعي 8/4.

النَّاسِ فَتَمَنُّوا لَمَوْتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾.

﴿أولياء الله﴾ كانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه أي: إن كان قولكم حقاً وكنتم على ثقة ﴿فتمنوا﴾ على الله أن يميّتمكم ويفعلكم سريعاً إلى دار كرامته التي أعدها لأوليائه: وَلَا يَسْتَوُونَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾.

ثم قال: ﴿ولا يتمنونه أبداً﴾ بسبب ما قدموا من الكفر. وقد قال لهم رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه»، فلو لا أنهم كانوا موثقين بصدق رسول الله ﷺ لتمنوا، ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد، فما تمالك أحد منهم أن يتمنى. وهي إحدى المعجزات. وقرئ: فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيهاً بلو استطعنا. ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيداً وتشديداً ليس في لا. فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه، ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه. ثم قيل لهم:

قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَيْدِي تَرْوِكُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَأَكُمْ نَرًّا رُؤُوسًا إِنْ عَابَرِ الْقَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنِزِّلَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ سَأَلُونَ ﴿٨﴾.

﴿إن الموت الذي تفرزون منه﴾ ولا تجسرون أن تمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا فتوتونه وهو ملائكم لا محالة. ﴿ثم ترون﴾ إلى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه: إنه ملائكم. وفي قراءة ابن مسعود: تفرزون منه ملائكم وهي ظاهرة، وأما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط. وقد جعل أن الموت الذي تفرزون منه كلاماً برأسه في قراءة زيد أي: إن الموت هو الشيء الذي تفرزون منه. ثم استؤنف إنه ملائكم يوم الجمعة، يوم الفرج المجموع كقولهم: ضحكة للمضحوك منه، ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع، كقولهم: ضحكة ولعنة ولعبة. ويوم الجمعة تثقيل للجمعة، كما قيل: عسرة في عسرة، وقرئ: بهن جميعاً.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾.

فإن قلت: من في قوله:

﴿من يوم الجمعة﴾ ما هي؟ قلت: هي بيان لإدا وتفسير له. والنداء الأذان. وقالوا: المراد به الأذان عند قعود

الإمام على المنبر، وقد كان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد، فإذا نزل أقام للصلاة^(١). ثم كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ذلك حتى إذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤنناً آخر فامر بالتأنيب الأول على داره التي تسمى زوراء فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه. وقيل: أول من سماها جمعة كعب بن لؤي. وكان يقال لها: العروبة. وقيل: إن الأنصار قالوا: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك. فهلما جعل لنا يوماً يجتمع فيه فننكر الله فيه ونصلي فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى. فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين ونكروهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه. فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام^(٢) وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ فهي أنه لما قدم المدينة مهاجراً نزل قباء على بني عمرو بن عوف، وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة^(٣). وعن بعضهم: قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث: افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله: ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾^(٤) وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبهم بالحمار يحمل أسفاراً، وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة. وعن النبي ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه اهبط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة. وهو عند الله يوم المزيدي»^(٥)، وعنه عليه السلام: «أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولأمّتك من بعدك، وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيدي». وعن النبي ﷺ: «إن الله تعالى في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار»^(٦). وعن كعب: إن الله فضل من البلدان مكة، ومن الشهور رمضان، ومن الأيام الجمعة. وقال عليه السلام: «من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد، ووقى فتنة القبر»^(٧) وفي الحديث: «إذا كان يوم الجمعة، قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب، يكتبون الأول فالأول على مراتبهم»^(٨)، وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مفتحة

(6) أبو يعلى في مسنده (الحديث رقم: 3434).

(7) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز (الحديث رقم: 1074)، وعبد الرزاق في المصنف 3/369 (الحديث رقم: 5595)، وأحمد في المسند 2/176.

(8) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة باب: الاستماع إلى الخطبة (الحديث رقم: 929).

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: المؤذن الواحد يوم الجمعة (الحديث رقم: 913).

(2) عبد الرزاق في مصنفه 3/159 (الحديث رقم: 5144).

(3) ابن هشام في السيرة 1/494.

(4) سورة الجمعة، الآية: 6.

(5) أخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: فضل يوم الجمعة (الحديث رقم: 17 - 854).

لهذا المقام مقالاً، وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال، وستأتيكم الخطب، ثم نزل، وكان ذلك بحضور الصحابة ولم ينكر عليه أحد⁽⁷⁾. وعند صاحبيه والشافعي: لا بد من كلام يسمى خطبة.

فَإِنْ قُلْتُمْ⁽⁸⁾: كيف يفسر نكر الله بالخطبة وفيها نكر غير الله! قُلْتُمْ: ما كان من نكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير، فهو في حكم نكر الله، فأمّا ما عدا ذلك من نكر الظلمة والقباهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقّاء بعكس ذلك، فمن نكر الشيطان. وهو من نكر الله على مراحل وإذا قال المنصت للخطبة لصاحبه: صه فقد لغا أقلّ يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيّاً نعوذ بالله من غربة الإسلام ونكد الأيام. أراد الأمر بترك ما يذهل عن نكر الله من شواغل الدنيا، وإنما خص البيع من بينها. لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبوابيهم وينصبون إلى المصر من كل أوب، ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحرّ التجارة ويتكاثر البيع والشراء. فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن نكر الله والمضي إلى المسجد قيل لهم: بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى نكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح. ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ الذي نفعه يسير وربحه مقارب.

فَإِنْ قُلْتُمْ: فإذا كان البيع في هذا الوقت مأموراً بتركه محرماً فهل هو فاسد؟ قُلْتُمْ: عمّة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع، قالوا: لأنّ البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الأرض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب، وعن بعض الناس إنه فاسد.

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا كَبِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرّج. وقيل: أوّل بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة، وعن ابن مسعود «أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول: أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد»⁽¹⁾. ولا تقام الجمعة عند أبي حنيفة رضي الله عنه⁽²⁾ إلا في مصر، جامع لقوله عليه السلام: «لا الجمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع»⁽³⁾. والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الأحكام، ومن شروطها: الإمام أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام: «فمن تركها وله إمام عادل أو جائر»⁽⁴⁾، الحديث وقوله ﷺ: «أربع إلى الولاة: الفيء والصفقات والحدود والجماعات»⁽⁵⁾. فإنّ أمّ رجل بغير إذن الإمام أو من ولاه من قاضٍ أو صاحب شرطة لم يجز فإن لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز، وهي تتعقد بثلاثة سوى الإمام، وعند الشافعي بأربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الأعمى. عند أبي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي إلا بقائده. وقرا عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم: فامضوا، وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ: فاسعوا، فقال: من أقرأك هذا، قال: أبي بن كعب، فقال: لا يزال يقرأ بالمنسوخ، لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط رداي»⁽⁶⁾، وقيل: المراد بالسعي القصد دون العدو، والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾. ﴿وان ليس للإنسان إلا ما سعى﴾. وعن الحسن: ليس السعي على الأقدام، ولكنه على النيات والقلوب. ونكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطنه أن ابن عمر سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي قال محمد: وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه. ﴿إلى نكر الله﴾ إلى الخطبة والصلاة ولتسمية الله الخطبة نكراً له. قال أبو حنيفة رحمه الله: إن اقتصر الخطيب على مقدار يسمى نكر الله كقوله: الحمد لله سبحان الله جاز، وعن عثمان أنه صعد المنبر فقال: الحمد لله وأرتج عليه فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في التهجير إلى الجمعة (الحديث رقم: 1094).

(2) قال أحمد: ولا لليل فيه، فإن العرب تسمى الشيء باسم بعض ما يشتمل عليه، كما سميت الصلاة: مرة قرأناً ومرة سجوداً ومرة ركوعاً؛ لأنها مشتملة على ذلك، فكنك الخطبة لما كانت مشتملة على نكر الله سميت به، ولا يلزم أن يكون كنك كل ما اشتملت عليه لا سيما والمسمى خطبة عند العرب لا بد وأن يزيد على القدر الذي اكتفى به أبو حنيفة، قال بعض أصحاب مالك رحمه الله: أقلها حمد الله والصلاة على نبيه وتحيير وتبشير وقرآن.

(3) ابن أبي شيبة في المصنف 101/2 كتاب: الجمعة، باب: من قال لا جمعة ولا...

(4) أخرجه ابن ماجه في كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: في فرض الجمعة (الحديث رقم: 1081).

(5) قال ازيلي غريب 25/4.

(6) لم يخرج الزليعي.

(7) قال أحمد: ساءه بلا اشتباه، فإن عثمان لم يصدر ذلك منه في خطبة الجمعة، وإنما كان ذلك في ابتداء خلافته وصعوده المنبر للبيعة، وكانت عادة العرب الخطب في المهمات، ألا ترى إلى قوله: وستأتيكم بعد ذلك الخطب، فإنّ ذلك يحقّق أنّ مقالته هذه ليس بخطبة، ولو كان في الجمعة لكان تاركاً للخطبة بالكلية، وهي منقولة في التاريخ أنه أرتج عليه فقال: سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عي بياناً، وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب.

(8) قال أحمد: الدعاء للسلطان الواجب الطاعة مشروع بكل حال، وقد نقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم، فقيل له: اتدعو له وهو ظالم؟ فقال: إي، والله ادعوا له، إن ما يدفع الله ببقائه أعظم مما يندفع بزواله، لا سيما إذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه، والله الموفق.

من لم يأتها في أمصار المسلمين»⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المنافقون مدنية

إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِّقُونَ قَالُوا تَشَهُدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ رَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتُنَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾.

أرادوا بقولهم: ﴿نشهد أنك لرسول الله﴾ شهادة وأطاعت فيها قلوبهم المستنهم فقال الله عز وجل: قالوا ذلك ﴿والله يعلم﴾ أن الأمر كما يدل عليه قولهم: إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون في قولهم: نشهد. وادعائهم فيه المواطأة⁽³⁾ أو إنهم لكاذبون فيه، لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة. أو أراد الله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم: إنك لرسول الله كذب وخير على خلاف ما عليه حال المخبر عنه.

فإن قُلْتَ: أي فائدة في قوله تعالى: والله يعلم إنك لرسوله؟ قُلْتَ: لو قال: قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله: والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام.

أَعْتَدُوا لِأَنَّهُمْ جِنَّةٌ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾.

﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ يجوز أن يراد أن قولهم: نشهد إنك لرسول الله يمين من إيمانهم الكاذبة، لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل: أشهد، وأشهد بالله، وأعزم وأعزم بالله، في موضع أقسم وأولى. وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله: على أن أشهد يمين⁽⁴⁾ ويجوز أن يكون وصفاً للمنافقين في استجنائهم بالإيمان وقرأ الحسن البصري: إيمانهم، أي: ما

ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية بإكثار الذكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه، وأن تكون مهمهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا يتفصون عنه لأن فلاحهم فيه وفوزهم منوط به. وعن ابن عباس: لم يؤمروا يطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى، وحضور الجنائز، وزيارة أخ في الله، وعن الحسن وسعيد بن المسيب: طلب العلم، وقيل: صلاة التطوع. وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظراً في هذه الآية.

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَلْبًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾.

روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم حية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشوا أن يسبقوا إليه فما بقي معه إلا يسير قيل: ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي نارا»⁽¹⁾. وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو، وعن قتادة: «فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير».

فإن قُلْتَ: فإن اتفق تفرق الناس عن الإمام في صلاة الجمعة كيف يصنع؟ قُلْتَ: إن بقي وحده أو مع أقل من ثلاثة فعند أبي حنيفة يستأنف الظهر إذا نفرأ عنه قبل الركوع، وعند صاحبيه إذا كبروه مع مضى فيها وعند زفر إذا نفرأ قبل التشهد بطلت.

فإن قُلْتَ: كيف؟ قال: ﴿إليها﴾ وقد نكر شيئين؟ قُلْتَ: تقديره إذا راوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه. فحذف أحدهما لدلالة المنكور عليه، وكذلك قراءة من قرأ انفضوا إليه، وقراءة من قرأ لهواً أو تجارة انفضوا إليها، وقرئ إليهما. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد

المطابقة، لا سيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، ألا تراهم كيف غالطوا أنفسهم متفابئين وليسوا على ضعفهم متجاللين، عندما أنزل قوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾.

(4) قال أحمد: لحد القولين عند مالك رحمه الله إذا قال: أشهد وأحلف وأقسم ولم ينو بالله ولا بغيره، كما نقل عن أبي حنيفة أنه يمين، وليس بالمشهور أما لو نوى بالله وإن لم يتلفظ فيمين بلا إشكال، وليس فيما نكره دليل على ما ذكره، فإن قوله: ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ غايته أن ما نكروه يسمى يميناً، وليس الخلاف في تسميته يميناً، وإنما الخلاف: هل يكون يميناً منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا، وليس كل ما يسمى حلفاً أو قسمياً يوجب حكماً، لا ترى أنه لو قال: أحلف ولم يقل بالله ولا بغيره، فهو من محال الخلاف في وجوب الكفارة به، وإن كان حلفاً لغةً باتفاق؛ لأنه فعل مشتق منه.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: إذا نفرأ الناس عن الإمام في صلاة الجمعة (الحديث رقم: 936)، ومسلم كتاب: الجمعة، باب: في قول الله تعالى: ﴿وإذا راوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتروك قائماً﴾ (الحديث رقم: 36 - 863)، وأخرجه ابن حبان في كتاب: أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم (الحديث رقم: 6876)، وحديث كعب بن عجرة أخرجه مسلم في المصدر السابق (الحديث رقم: 39 - 864)، وأخرجه أبو داود في المراسيل. باب: الجمعة (الحديث رقم: 62).

(2) رواه الثعلبي وابن مريويه والواحد في تفاسيرهم 29/4.

(3) قال أحمد: ومثل هذا من نمطه المليح، قوله: ﴿قالت الأعراب أمنا، قل: لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا﴾ وقد كان المطابق لقوله: ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أن يقال لهم: لا تقولوا أمنا، ولكنه لما كان موهماً للنهي عن قول الإيمان، عمل عنه على ما فيه من الطباق إلى ما سلم الكلام فيه من الوهم، وذلك أجل وأعظم من فائدة =